ومن المؤكد أنه فى فترة ازدهار النشاط العلمى فى اللغة رواية ودراسة ـ القرن الثانى ـ نشط العلماء فى رواية اللغة ونقلها ، ولم يقتصر هذا النقل على من عاصرهم العلماء من الفصحاء وأعرب البادية ، بل إنه امتد إلى ما قبل ذلك من عصور سابقة حتى الجاهلية .

وقد حرص الرواة على تأكيد اعتمادهم فى نقل اللغة على الحفظ والمشافهة لا على الكتابة والتدوين لأسباب تتعلق بالثقة بهم وبما نقلوه ، إذ شاع بين الدارسين عرف علمى مؤداه عدم الثقة بمن ينقل عن الصحف ، لقصورها عن الأداء السليم الذى تحققه المشافهة ، والحق أن هذا العرف العلمى قد أفاد فى رواية اللغة ودراستها على السواء ، حيث دعا إلى التثبت فى النطق عن سماع لا عن قراءة .

لكن الواقع لم يكن يتفق مع هذا العرف السائد ، لأن نقل اللغة عبر عصور طويلة تمتد قرناً ونصف قرن فى الجاهلية ومثله فى الإسلام بطريق المشافهة المطلقة أمر يصعب تصديقه ، والقول به سذاجة يترتب عليها أمر خطير هو الشك فى هذا الشعر الجاهلى كله ، كما قال بذلك بعض المستشرقين ومن تابعهم من علماء العربية فى العصر الحديث ، وقد أثبت بحث معاصر عن (مصادر الشعر الجاهلى) فساد هذا اللغط بأدلة مقنعة ، وبين مصادر النقل التى كان من أهمها التدوين والكتابة ، وإن لم ينف أيضاً المشافهة فى ذلك .

وأما أخذ العلماء عمن عاصروهم من الفصحاء ، والتظاهر فى ذلك بالحفظ والمشافهة لا غير ، فإنه أمر لا يتفق مع ما روى عن هؤلاء العلماء أنفسهم من أن معظمهم كان يجيد القراءة والكتابة ، وأغلب الظن أنهم وجدوا من يجيدها فى البادية وقد دونوا بهما ما يهمهم أمره ، ولكن فرضت عليهم ظروف العصر سلوكاً خاصاً فوافقوه وإن كان الواقع بخلافه .